

الإربعاء 26-12-2007

## 117- قراءة النص: بين التفسير والاستهام

حين بدأت كتابة يومية 2007-12-23 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر")، لم أكن أنوى أن أكتب إلا عن ثلاثة أفكار مفيدة، عثرت عليها انتزاعاً من وسط هذه الموجات المتلاحقة من الأحلام والأوهام التي غمرتنا مؤخراً مع سريان البدعة المسماة "السر"، هذه الأفكار - مرة أخرى بلغة أخرى - هي:

**أولاً:** التنبيه إلى أننا يمكن أن يكون عندنا فعلاً ما نريده الآن، وربما نحن غير منتبهين إليه، وأن الوعي بذلك هو البداية إلى ما يمكن أن يترتب على هذا الإقرار الإيجابي من مزيد.

**ثانياً:** أن وجودنا ليس سلبياً في مواجهة الكون والقدر، وأن لنا دور في تحريك أي منهما، وبرغم أننا لا نعرف تماماً قوانين الكون والقدر إلا أن تم تواصلاً ممكننا مفيداً بيننا وبينهما قد يصل إلى درجة الوثوق من الاستجابة، (سواء كان ذلك من منطلق دين صافٍ لم يتشوه، يؤكد العلاقة المباشرة بين العبد وربّه، أو من منطلق إبداعي أحدث، كل بحسب منظومته).

**ثالثاً:** أن الوعي بإيجابيات الذات، وإيجابيات الحياة عموماً، بما يتجاوز التفاؤل الكسول الناعم، يحتاج ممارسة معنى "الحمد" الإيجابي الذي ينمى ما هو موجود، ومن ثم الاستزادة مما هو أكثر فائدة لاستمرار الحياة زاخرة بمزيد من النبض والثراء والأخذ والعطاء.

**في البداية:** بدت لي هذه المفاتيح الثلاثة التي اسميتها "الأحجار الكريمة" كافية، إلا أنني وجدت أن المسألة هكذا قد تكون من العمومية بحيث لا تستطيع أن تقف في مواجهة الألعاب النارية والوعود اللامعة التي يلوح بها أصحاب البدعة الأولى (السر بتاع الدولارات والقصور). فانطلقت من تلك المفاتيح الأربعين يومية 2007-12-23 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر")، قال ماذا؟ لتكون الأمور أوضح وأسهل تطبيقاً.

ثم إنني فوجئت وأنا أكتب يومية أمس أن المفتاح رقم (15) عن "التصالح مع الجسد" أخذ كل تلك المساحة، فعدت إلى المفاتيح الأربعين أقرأها على بعض المقربين، فإذا ببعض المتابعين لفكري يذكرون بالكتاب الذي انطلق من منذ 34

عاما باسم "حكمة الخانين" وهو يجتوى ألف حكمة وحكمة (1001) غير الحكمة المسماة "قبل العذ"، وقال لى أحدهم: لقد سبق أن فعلتها من قبل ونهيناك عن تفسيرها وشرحها، مع أنها أعمق وأكثر إفادة، ولا تقارن بالأربعين مفتاحا إياهم.

### يا خيرا!! ما العمل؟

الاتجاه التسويقي السائد سواء في بدعة السر تبعهم، أو في تدريبات التنمية البشرية، هو تسويق سريع سريع ليرجمة ممكنة: 1، 2، 3، هُبْ للحصول على مكاسب ظاهرة محددة. حتى ندوتنا العلمية القادمة، ندوة يناير 2008 "جمعية الطب النفسى التطورى والعمل الجماعى". (دار المقطم للصحة النفسية) ويقدمها د. هانى الخناوى هى عن "العلاج العصي والتغذية العصبية المرشحة".

هذه البرامج الجاهزة والمفيدة قد تقوم بدور إيجابى بلا شك، لكنها - في رأي - تشارك في نوع من الاختزال والتسطيح لما هو معرفة ووجدان وتفكير وإبداع، (وأحيانا الإيمان)

### ما العمل؟

تذكرت أيضاً- في هذا السياق- موقفى ومحاولاتى في قراءة وتفسير واستلهام عمل شديد التركيز بالغ الأمانة، حين قمت بمحاولة قراءة بعض مواقف مولانا النقرى وقد تم ذلك على مستويين، صدرا في نفس كتابى "مواقف النقرى بين الاستلهام والتفسير"

جعلت الجزء الاول بمثابة "هوامش لما أسميته علم بالنفس" وليس علم نفس.

أما الجزء الثانى فكان جهداً مشتركاً مع ابن قس طبيب نفسى هو د. ايهاب الخراط، وكان استلهما طليقا كالتالى:

- نورد النص، "موقف النقرى"
- ثم بعده قراءة الابن د. ايهاب الخراط
- ثم قراءتى للنص، وعلى قراءته للنص (شئ اشبه "بقول" على "قول" على "قول")

تعلمت من هذه التجربة، ومقارنة المستويين ببعضهما البعض، تعلمت الفرق الواضح بين التفسير والاستلهام.

### ويظل التحدى قائما:

هذه النصوص: كيف نقرأها لنغوص فيها بما هى لما هى، بديلا عن أن نفسرها باجتهادات قد تفسد نبضها؟

هل نكتفى بأن نستقبلها ونرى آثارها فينا، دون تفسير؟

أم نقامر بما أسميته أحيانا "استلهما" وأحيانا "إبداعاً على إبداع".

وجدت في مقدمة كتابى عن النقرى محاولة لتحديد مستويات لقراءة أى نص (بما في ذلك النص البشرى) فضلت أن أورها

هنا أملا في نقاش، قبل أن أأخذ موقفا نهائيا بشأن المفاتيح الأربعة إياها يومية 23-12-2007 (حزمة من مفاتيح السر "الآخر") أو الطلقات الألف واثنين "حكمة الجانين" وفيما يلي المقتطف:

أولا: منهج قراءة "النص" بين التفسير والاستلهام

كيف نقرأ نصا ما؟

وقبل ذلك: ما هو النص؟ ومن هو قارئ النص؟

النص هو كل منظومة تتماثل في أفق الوعي، فتستثير الفهم، أو الحوار، أو الإضافة، أو التكملة، أو الجدل، أو التفرع الخلاق، أو التكامل، أو كل ذلك مجتمعا.

وقارئ النص هو من تفتّح وعيه للمُدرك المتاح ليعيد تشكيله بما أمكن، وهذا موقف لا يشترط القراءة والكتابة، بقدر ما يشترط الدراية واليقظة.

- الإنسان هو نفسه "نص" يحتاج في قراءته إلى ما يحتاجه أي نص.

- كل "آخر" (كل إنسان آخر) بالنسبة لي: هو نص "آخر"، مختلف عن أي نص "آخر."

- المريض النفسي هو نص أكثر تعريبا، وأكثر تحديا، وهو "نص" يحتاج إلى قراءة، أكثر منه اضطراب يحتاج إلى "لافتة" (تشخيص)....

مستويات محتملة لقراءة النص:

إن أي نص (بما في ذلك "الآخر- الإنسان"، حتى الطريق إلى النص الإلهي مفتوح النهاية) يمكن أن يتناوله الوعي بوسائل كثيرة، على مستويات متعددة، نورد بعضها فيما يلي:

- 1) التسليم لظواهر النص من فرط حضوره الجاهز والكامل.
- في هذه الحالة يكون النص بمثابة مؤسسة سلطوية. يترتب على ذلك تسليم تختلط فيه الطاعة بالخوف بالتشكل لما يلوح منه دون مواجهته.
- 2) ترجمته كله أو بعضه إلى لغة المعاجم الجامدة (حتى التحنيط أحيانا)
- مع احتمال الاستعانة بالتاريخ المشكوك في مصداقيته عادة.
- 3) ترجمته إلى لغة منظومة أخرى لا ينتمي إليها أصلا.
- مثل المحاولات الأحدث والأكثر تسطيحا التي تجرى تحت اسم: التفسير العلمي (أو الرقمي!!) للقرآن الكريم.
- 4) إنكاره أو إهماله جزئيا أو كليا
- (عجزا عن فهمه، وربما هربا من تلقى رسالته، أو قبول تحديده).
- 5) إدراكه على مستويات متعددة، تعلن كلها، أو يحبس بعضها خوفا من سوء تأويل العامة دون الصفة. (اتجاه كثير من المتصوفة)

6) استعماله بظاهر شكله كرمز عيان، له مفعوله الأسطوري الخاص، مثل التبرك به بغض النظر عما يقوله مضمونه.

**نتوقف هنا لنقول:**

- إن ذلك وغيره قد يتم على مستوى الشعور أو اللاشعور  
وأن ثمة احتمالات نقول:

- إن بعض ما وصلنا من النصوص الخالدة (والمقدسة) قد وصلنا من خلال تفسيرات وتأويلات وقراءات تناولت الأصول حسب المتاح في مرحلة تاريخية بذاتها، وهذه التفسيرات عادة ما تستعمل لغة معينة في أرضية معرفية محكومة بالمتاح لها في لحظة تاريخية بذاتها، تحكمها ظروفها جموداً، وسلطة، ووصاية، ورقابة، وغيرها.

- قد ينجو النص من وصاية هذه التفسيرات فتظل أصوله النقدية متاحة معطاء جنباً إلى جنب مع اجتهادات تفسيره المختلفة.

- وقد يخفى النص - إذا غمرته التفسيرات- في ثنايا تفسيره،

- أو قد يحل التفسير محله، فتحرمنا التفاسير منه في ذاته، لذاته، وبالتالي تحرمنا من استعادة الحوار معه لاستلهامه

**نصوص خالدة متجددة معاً:**

على أن ثمة نصوصاً، ليست مقدسة بالضرورة، تثبت جدارتها وفائدتها للبشر والحياة دون أن يستطيع الوعي البشري في مرحلة (أو مراحل) من تطوره أن يلم بمستوياتها المتعددة في آنهاء، فهي تبدو غامضة أحياناً، ومتناقضة أحياناً، وبعيدة أحياناً، لكنها تبقى واعدة، متجددة، وكأنها تنتظر، أو تتحدى.

لعل السبب الذي يفسر هذا العطاء المتجدد هو قدرة هذه النصوص على مخاطبة أكثر من مستوى من الوعي دون أن نعرف أى مستوى هو الذى يحتاجها، في وقت بذاته.

وتتجدد الإجماعات مع تغيّر مستوى الوعي المتلقي.

وقد تصل أصالة نص ما إلى ما يبدو وكأنه خلود دائم العطاء. ويعتبر خلود مثل هذه النصوص دعوة ضمنية للعودة إليها، وإعادة قراءتها، واستلهامها، بما يستجد للإنسان من أدوات ولغات باستمرار، وبما يتحرك فيه ومعها من مستويات للوعي متجددة ومتضفرة ومتفرعة.

تتميز هذه النصوص عادة بأن عطاءها ليس له زمان محدد. فنحن نكتشف فيها كيف أنها قد تناول المشاكل الحاضرة، بل وأحياناً المستقبلية وكأنها تعيش بيننا الآن، ثم غداً، مع أن

عمرها قد يصل إلى مئات، أو آلاف، السنين. وهذا لا يعنى قدرة تنبؤية خارقة، أو معجزة خاصة، وإنما هو يشير إلى عمق ما وصل إليه مثل هذا النص من طبقات الوعي الأساسية التي تشكل الكيان البشرى، فتتجلى متجددة، مع تغير الزمان واللغة.

إن خلود النص لا يرتبط بقدراته التنبؤية بقدر ما يرتبط بعمق غوصه إلى جوهر الوجود الذى لا يتغير، وإن تجددت تشكيلاته وتنوعت لغاته.

من منظور نفعى بحت، لا بد أن لمثل هذه النصوص فائدة للمتلقيين عبر التاريخ، وإلا فكيف بقيت هكذا حتى الآن على الرغم من كل شيء؟

### نقاء وعناد الوعي البشرى الناقد:

وسط الفيضانات الهائلة من الوصاية والإحاطة والملاحقة بقشور المعلومات، يظل نقاء الوعي البشرى قادرا على معاودة استلهاهم مثل هذه النصوص الخالدة، دينية كانت أم غير ذلك.

ويُحسب للوعي البشرى الجماعى، على الرغم من كل ما لحقه، أنه ظل يحافظ على النصوص المقدسة، وعلى أداء الشعائر الدينية، ضد كل محاولات الشرح والاختزال والإنكار، بل ضد كل محاولات العلمنة، والعقلنة، والمنطقية.

### إن محاولات العودة المتكررة إلى نصوص بذاتها تؤكد أمرين:

**الأول:** هو أن القراءات الأولى، مهما بلغ اجتهادها، ليست كافية.

**الثانى:** هو أن ثمة حاجة إلى إعادة النظر في المنهج باستمرار.

لسنا هنا في مجال الحديث عن بعض ما لحق بالنصوص المقدسة من تشويه وامتهان حين عوملت بمنهج حديثة لا تصلح لها حتى لو سميت "علمية"، أو "عقلية"، أو عقلانية، أو ما شئت من مسميات.

**منهج الاستلهاهم** الذى نطرحه هنا لا يقترّب من جزئيات النص ليحشرها في قوالب (لغوية أو علمية) جاهزة مسبقا، قوالب لم تعد لمفردات مثل هذه النصوص أصلا، ولا بمقدورها أن تستوعب مضمونها.

**يقوم الاستلهاهم بتجاوز التفسير،** وذلك بالتعامل مع النص القادر الواعد المفيد كوخى متجدد، باعتبار أن رسالة النص الخالد بمستوياتها المختلفة قادرة على تحريك ما يقابلها في المتلقى، في أحواله المختلفة، وأزمائه المختلفة. **(انتهى المقتطف)**

وبعد

أحسب أن هذا التوضيح للفرق بين التفسير والاستلهاهم قد

يكون لازماً حين تبدأ هذه اليومية في تحديث قراءتى لبعض مواقف مولانا النفرى.

أجدنى الآن مطالباً بأن أجب على أسئلة محددة متعلقة بهذا الشأن، راجياً القارئ (الزائر) أن يعيننى فى ذلك:

- هل هذا الاستلهام هو المنهج النقدى الذى اقرأ به أحلام فترة النقاهة: محفوظ؟

- هل يمكن أن أرجع "مفاتيح السر الأربعة" أفسرها بما يقربها من الإفادة العامة؟

- هل افعل مثل ذلك مع الألف حكمة وحكمة (زائد واحد) التى أطلقتها فى حكمة المجانين؟

- هل أعود للقراءة الثانية (الاستلهام) التى صدرت منى على بعض نصوص النفرى أزيدها إيضاحاً لتزيد فائدة؟

بصراحة لست أدرى

وفى نفس الوقت لابد أن أعترف ان هذه اليومية التى سوف تتم الأربعة أشهر بعد أيام، هى التى جعلت هذه الأسئلة تقفز من جديد.

فما بالك عندما نفتح المنتدى فى الشبكة العربية بفضله الابن د. جمال ترك؟